مجلة المرابط

العدد : ١٨٦ الموافق في شـــعبان ١٤١٧ هجري ١ / ١٩٩٧ ميلادي

قراءة في صحيح البخاري : يوشك أن يكون خير مال المسلم ...	بقلم : نور الدين بن علي

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ ابنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أبِي صَعْصَعَةَ عَنْ أبِيهِ عَنْ أبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ ».

هذا الحديث الشريف ينبئ عن مجريات الأحداث وتقلبات الزمن ، وعن تأثير ذلك على العامة والخاصة ، ثم يرسم الطريق للفرد عندما تعصف به مثل هذه الأحداث فتضطره إلى التراجع المؤقت ، حفاظاً على قداسة إيمانه واستقامة سلوكه.

ثم إن هذا قد يقع للفرد المسلم في موطن من مواطن الحياة وفي ظرف من ظروف المحن ويكون حاله آنذاك حال إنسان لا يتقن مقاومة السيل المتدفق... ولا يحسن السباحة في خضم الفتنة ، وما عليه آنذاك إلا أن يتحيَّز إلى شعبة من شعاب الجبال من خلال وعي للظروف وإدراك لتناسب القوى.

إنه الهروب الإيجابي الذي يسميّه الإسلام تحيّزاً واحتماءً ووقاية يحفظ له طاقته الحركية وفعالية إنتاجه الفردي ريثما تتهيأ الظروف لعودته إلى جسم الأمة.

وما أروع أن نجد في هذا الحديث صورة المسلم... وهو يتحرك في ميدان الإنتاج... إنه يعمل في حال التحامه بأمته بما يعود بالفائدة والنماء عليها ، ويعمل في تلكم الحالة الاستثنائية عندما يضطر للعزلة حفاظاً على طاقته وفعاليته وكفايته... إنه يملك خير مال... ويعمل في أفضل مجال ولا تعني العزلة انكماشاً ، ولا يعني التحيز عطالة.

وإننا لنعرف في مجتمعنا رجالاً ابتنوا متاجر ومصانع فلما داهمهم سيل الرشوة بحيث لا يستطيعون المتابعة إلا من خلال لوثتها لم يتوانوا من إغلاق تلك المصانع واتخاذ قرار الفرار الإيجابي إلى موطن آخر.

نعم... إنه هذا هو المقصود من حديثه ﷺ ... المقصود هو أن نحافظ على الخير... ولو في رؤوس الجبال ، وأن نتحرك ضمن إطار المبادئ ولو كانت الحركة رعي الغنم في البيداء... وهذا في حال واحدة ولأجل غاية واحدة... إنما هو حال الفرد الذي لا يملك أن يكون مع أمة التغيير... لكنه يعمل على الحفاظ على طاقة الخير حتى يتهيأ التغيير.